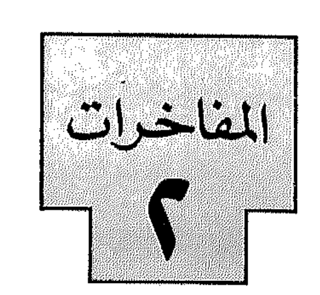


اللطف والمنة في مفاخرات فواكه الجنة

شمس الدين محمد بن المحب

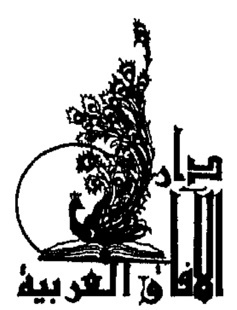
Bibliotheca Alexandrina
0144793
89

تحقيق
محمد الششتاوى

الآفاق العربية

اللطف والمنّة
في مفاخرات فواكه الجنة

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٩٤ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولى : 977-5727-37-5

المفاخرات [٢]

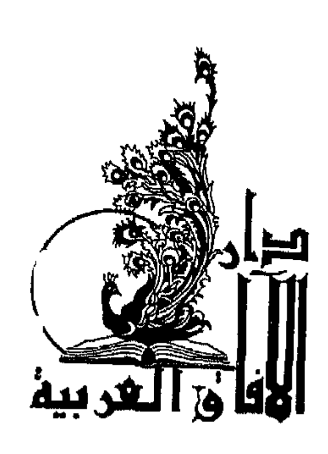
اللطف المنّة في مفاخرة فواكه الجنة

شمس الدين محمّد بن المحبّ



محمّد الششتاوي

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



استكمالاً لسلسلة المفاخرات والمناظرات التى تتضمن موضوعات متشابهة، نقدم اليوم هذه المفاخرات الثلاثة الخاصة بالفواكه تضمنها مخطوط السيوطى كوكب الروضة (تحت الطبع).

والمفاخرة الأولى بين المشمش والتوت نسبها السيوطى للذهبى.

والثانية بين الرطب والأعناب، لم يذكر السيوطى مؤلفها.

والثالثة بين التين والعنب، لشمس الدين محمد بن المحب.

وهى تتسم بالطرافة كما انها تحوى معلومات طبية قيمة عن تلك الفواكة.

المفاخرة الأولى

بين المشمش والتوت

مفاخرة بين المشمش والتوت

للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى

الحمد لله الذى جعل العام فصولا أربعة، وجعل لكل فصل منها ثمارا متنوعة، والصلاة والسلام على نبيه وصفيه الذى اهتدى من اقتدى به وتبعه واتبعه . وبعد . .

فلما قدم الربيع فى طلائعه وجنوده، وسحب وشى مطارفه وبروده، وزهت الدنيا بأزهاره، وانتشر نشرها بانتشاره، وزينت الخلائق بالصور والقدود، ونورت الوجوه بالحدق والخدود، وأصبح فى كل وردة ند وعود، فالورق بين الأوراق تتغنى، والغصون ترقص لتصفيق الأنهار وتتثنى، فأراح عند ذلك الأرواح، وتنافست النفوس فى المسرات والأفراح، وتأهبت ثماره للقدوم وأزهاره للرواح، وسار فى الساقه الورد، وهرب ما تبقى من البرد، وأقبل المقدم التوت الرئيسى الصادق فى حلاوته، فجلا صدا القلوب من طول غيبته، وملأ الصدور من رونق هيبته .

شفى النفوس من الأدواء والوصب

توت بدا طعمه أحلى من الضرب

أفديه توتا له الفضـــل المبين على

ما فى البساتين من تمر ومن عنب

فبينما هو يجول فى ميدان تيهة ومرحه، ويصول فى قلوعه من شدة فرحه، إذ هجم عليه الصدر المشمش المعشوق، والملك السعيد المرفوق، بين أعلامه الصفر، وبنود أغصانه الخضر

كأنه حين يبدو فى الغصون ضحى ∴ بنادق الرمى قد صيغت من الذهب

وبالنجوم إذا انقضت تشبهه ∴ إذا بدا ساقطا من شدة اللهب

فصاح عليه التوت صيحة أرعب بها جنوده، ونثر بها نظام أمره وعقوده، فعدم التوت الإصطبار، وعزم على الفرار، ثم تشجع ووقف للنضال، وقعد للمخاصمة والجدال، وقوى فكه وقال : أيها المليح الطيب المخبر، المنسوب فى الشبه إلى بنى الأصفر، اللابس الدرع المعصفر، لم تهجمت على مقامى والرتب، وأنا قد سبقت إلى الشفا من الوصب، وارزيت وأزبدت بالرطب، وملأت الشوارع، وجلست على القوارع، واستوى فى الوصول إلىّ الغنى والفقير القانع، والفضل للسابق لا للاحق.

فالتفت إليه المشمش التفات المتدلل المتكبر، وصاح عليه صيحة المتجبر، وقال : أيها العليل الوجع، والثقيل الدلع، هل أنت إلا من بعض أجنادى، أما علمت أن الدولة لى والبلاد بلادى، والناس تعد لى الأيام، وتنتظرنى انتظار وابل الغمام، وتعد الناس لقدومى أيام البطالة، وكل يهنئ لتلقى أنواعى آله، ومن جملة شروط الواقف فى المدارس استثنا أيام ورودى، وانجاز وعودى، ولى تضمن البساتين، وتغنى القدود وتصفق الهواوين، ولايذكرون إلا أيام المشمش لا زمان التوت، فمت كمدا إن

اردت أن تموت، والإ فالزم الخرس والسكوت، وكنت قد تقدمت فما أنت الإ خادم وصاحب، ومتى علت عين على حاجب.

فقال له التوت: طمعت فى جانبى حين بعد القرين، وعز المساعد والمعين، ولو كان فيك تقوى، لما كان قلبك على جارك يقوى، وإن كان غرضك المقام، فأنا أودع وأرحل بسلام.

فقال له المشمش : سافر من هذه الديار، فما لك معى فيها قرار، وإن رضيت برميك على المزابل للكلاب، وإلا فتلقح فى الشمس وقاسى الإلتهاب، ودق راسك بالمرازب، وستعلم أينا الصادق من الكاذب، أما تتأدب مع من لونه لون الذهب، وطعمه يروى بالسكر والعنب، وخده أصقل من خد الخود الحسان، وقلبه أبيض من لؤلؤ نيسان، وقيمته من أجل الأثمان.

فقال له التوت : إذا كان لابد من المقابحة، والمكالمة [1] والمواقحة فاخرج من نشورك للمناظرة، ودع عنك المكابرة، أنا الخفيف الثمن، واللطيف فى البدن، والرطب للسمن يميد لى الغصن الأملود، وكأننى اللؤلؤ فى العود، ولى السدس ألوية وبنود، وأنت قد علاك الصفار بعد الاخضرار، وراح قلبك من العشى حجرا من الأحجار، تثقل على المعدة، وتفسد الطعام فى أقل مدة، وتحتاج إلى التصريف، وإلا بودرت بالقئ فى الكنيف، تستحيل إلى الصفراء، وتصير من جملة الأدواء، وبئست الخلتان الاستحالة والحمضة، وياما أحدث أكلك من مرضه، وأنا انصرافى عن المعدة بسرعة، أما ترى مائى أصفى من دمعة، ولا اضع الأكل من الشبعة والرجعة.

---

(١) والمكالحة فى أ، جـ.

فعظم على المشمش هذا الكلام، وأخذه القلق والابتلام، وقال: ويلك، تخاطبنى بهذه المقالة، وأنت شديد الإستحالة، ولا تبقى على حالة، وللسقم أقوى آلة، أما تعلم أنك مرعى الذباب ولايسمن عليك إلا الكلاب، أنت من أنواعك الكلابى، وأنا من أنواعى المحسنى، ومتى ساوى المحسن من ذوى الألباب، للكلاب أبناء الكلاب، ليست حلاوتك عند قدومك صادقة، ولا رؤيتك بهيجة ورائقة، ولا الشبعة منك لائقة، ترخى المعد، وتحرك البرد والرعد، ومع كونك رخيص العرض، أكلك داء ومرض، وأنا ذو السيرة الفاخرة، والرؤية الباهرة، ولى تنفق الأموال، وتتفاخر بكثرة أكلى الرجال، يعدوننى عد الدنانير والدراهم، وأنزل على القلوب كالمراهم، لى الإجناس والأنواع، والخدم والأتباع، أنا من أغلى الفواكه ثمنا، وأنت من اشتراك قنطارا بدرهم قد غبن غبنا، أنت فى الثمن كالجزر، وأنا كالدرة النفيسة بين الدرر، ولا شك أن الغالى أعز، والرخيص يلقى ويبز.

أنا كريم الطباع بأدنى تحريك أسمح بثمرتى للجانى، وإن كان جانى، وهذا طبع الكرام، وأنت ردئ الطباع ولا تجنى إلا بالعصى والمرازب والضرب والدق، لا ينال منك ثمرا إلا بالعنف وهذا من طبع اللئام، ولا ينكر هذا أحد من الأنام.

فقال له التوت : تعاظمت فوق الحاجة، وتجاوزت الحد فى اللجاجة، أما قولك لى تسمن الكلاب، فأنت المنسوب إلى بنى الأصفر الملعونين بنى الكلاب، وإن كانت حلاوتى فى ابتدائى غير صادقة، فحموضتك أول امرك محققة غير لائقة، وإن كنت رخيص الثمن، فهذا شىء حسن، فينتفع بى الغرباء وأهل الوطن، وأنت خلا من كل من،

ولولا انتسابك إلى اللوز ما مشى [1] لك حال، ولا خطرت فى بال ، ولكنت من الوبال، ولصرت فى أنحس الأحوال، وما تشبه حلاوتك بالرطب، ولاذاتك بجيد العنب، وأنت كثير العطب، وإذا سلمت فى النادر من الزمان فعجب، متى هبت عليك شرقية، قلت لم هذه البلية، أعوذ بالله من الساعات الردية، رحت والله من الصعقة فى أنحس قضية، فتضحى منك أشجارك داوية، وأغصانك على عروشها خاوية، وولت عنك السعادة، واكتسى غصنك ثوب حدادة، وصيرك الله عبرة لعباده، وتمثل من لم يحظ منك بمراده.

ذهبت بشاشة حسن وجه المشمش

وغــدا يطــالعنـا بوجــه أغــش

واســود منــه الوجــه حتــى انه

كالفحـم أو بالنقـش يومـا قد حش

ضعفــت قــواه فكلما هبــت صبا

تحيي الزروع بطيـب رباهــا عشــى

وأنـا لا تؤثـر فى لواقح الريـاح، ولا نوافح نسمات الصباح، لثبات أصلى وفرعى، وصلابة جسمى وشدة منعى، ألقى العواصف بصدر رحيب، ولا أخاف من جليد، ولا أخشى من الحر اللهيب، ولولا أوراقى ما وجد الحرير، ولولا ساقى ما ثبت دار الأمير، وفى يقول الصديق الرفيق، والحبيب اللبيب :

---

(١) نقى فى أ ، هـ.

أما ترى التـــوت قد وافاك مبكرا

مدرعا فى الصــوانى أفخـر الحلل

كالثلج فى قــوة الحـر الشـديد له

طعـــم تشبـــه بالجلاب والعسـل

بشفى القلوب ويرويها على ظمأ

ويفتــدى بـــرده بالــغل والنهـل

هــو الإمـــام الــذى لولا تقــدمه

ما فرق الناس بين الجدى والحمل

فقـال لـه المشـمش: لقد تطاولت عليّ وارتفعت ، وتبالطت وما خضعت، وهذا الجدال يطول، وكلما قلت أقول، فارتفع معى إلى بعض الحكام، وأرحنا من الجدال والخصام، فما ينصف المظلوم إلا عادل ذو إبرام.

فبادره التوت إلى ما سأل، وقال له الفجل العجل، فسأل عمن له خبرة بالأنساب، وله بيان وإسهاب، وحكمة وفصل خطاب، فُدُلاَ على حكم من ذوى الألباب، الذين جربوا الأمور الصعاب، ورأوا من الدهر العجاب، قد سبر سبر الجمهور، وخبر الأحياء وأهل القبور، وجال فى البلاد وجاب، وعاشر من شب وشاب، له علم ودراية، وسند ورواية، وبلغ فى التفنن فى المأكل الغاية، فذهبا إليه، وتحاكما بين يديه، وسألاه الحكم بعلمه، والقضاء بينهما بقوة فهمه، بعد أن قصا عليه القضية، وأطلعاه على مناظرتهما الظاهرة والخفية، فحمد الله خالق الثمار، ورازق

الأطيار، ومزين البساتين بالأشجار، والأنهار ، وصلى على نبيه محمد المختار، وقال:

أما بعد، فإذا رضيتما بحكمى، فلابد من تحقيق علمى، فليحضر كل منكما أطيب أنواعه، لأشاهد لطيف حسنه وابداعه، ولأباشر أكله، وأتحقق فضله، وأبالغ فى استعمال كل منكما فى الاقتضاض، ويقضى الله بعد ذلك ما هو قاض.

فتأنق كل منهما فى الإحضار أطيب نوعه وجنسه، ماهز لصاحبه وقطف لامسه، وكانت قد أتت على الحاكم مدة مديدة، وأيام عديدة، لم يستطعم فيها بمطعوم ولا بمشروب، فصادف حضورهما إليه حاجة فى نفس يعقوب، فالتقم رابق الخراسانى عسقا، وسف رطب السلطانى سفا، وتناول المحسنى كفاكفا، إلى أن وقف على قوله تعالى: ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا** ﴾.

فلما حصل على المحضر، قام يتبختر [1]، ومشى يتخطر، ومال من الامتلاء يتحصر، وقال : قد استد باب الكلام، واشتبه على الحكم فى هذا المقام، فاتركا الجدال والخصام، وانصرفا عنى بسلام، وإذا ارتشى الحاكم من الخصمين، فما يذهب كل منهما الإ قرير العين، ولو كنت اقتصرت على التناول من أحدكما لرجحته غاية الترجيح، فما منكم من أحد إلا وهو مليح الوجه صبيح، وبعد أن حصلت لى العائدة، ورفعت المائدة ، فما بقى لى فائدة، ومن يصير على العدم والذهاب، ويصير جيفة ملقاة فى التراب، ويمشى طريحا على المزابل كتالف الخضروات

(١) يتحضر فى هـ.

ومدته فى البقاء يسيرة، وأيامه معدودة قصيرة، فبم يفتخر على جاره، ويسيء عشرته فى بستانه وداره، والمصلحة عندى الصلح والصلاح، وأن يكون خروجكما على أحسن رواح.

فكأنما أفاقا من السكرة، وزالت بينهما النقرة، واصطلحا صلحا بقيا به متوافقين، متعانقين فى الأوانى، متلازمين فى الصوانى، وزال الشقاق، وربحا الوفاق، فشكرا على هذا الصنيع، وتأسف على فراقهما من الناس الجميع. انتهت والحمد لله وحده.

المفاخرة الثانية

بين الرطب والأعناب

مفاخرة بين الرطب والأعناب

حدثنا أبو القاسم التواب، أن أبا عبد الله البواب، لما قيل عنه ما قيل، نودى فى الحال أن لا مقيل، فتوجه إلى جلق وما نوى [1]، وكان كبرق تألق ثم انطوى، ولما دخلها قصدت إليه، وخيلته وما اشتملت عليه، فقال: يا أعز الأحباب، هذه مفاخرة الرطب والأعناب.

هذه مفاخرة الرطب والأعناب أحضرها بعض أصحابى، يشغلنى عن مصابى، ثم ناولنيها فوجدت فيها تناظر النخل الباسقات، والكروم المتعلقات فى أيهما أشى [2] وأنفع للأنام، وأشبه بآدم عليه السلام.

فقال النخل: نحن بنات الأعمام، ذوات الأكمام، وفينا خاصة الإيناس، وقرب الشبه [3] بالناس، ولحملنا النضارة والطلاوة، واللطافة والحلاوة، نؤتى أكلنا كل حين بإذن ربنا، والسنن النبوية شاهدة بقربنا، وطلعنا نفيد رزقا للعباد، رطب وثمر وعجوة وأزواد، وإنّا لمفضلون فى الكتاب، بتقديم ذكرنا على الأعناب.

---

(١) لوى فى ب، د.

(٢) اشتهر فى أ، جـ.

(٣) النسبة فى أ، و.

فقال الكرم: بل نحن إلى الإنسان أقرب، وبه أشبه ، وثمرنا أطيب، وميلهم إلينا أكثر، وأغنياؤهم بنا أشهر، وإن شاكل النخل من الأناس [1] الأشباح، فإنا نشاكل منهم الأرواح، ولنا القطوف الدانيات، والطعوم اللذيذة النكهات، والألوان الرائقة، والخواص الفائقة ، ثمرنا يخصب الأبدان، ويدر الألبان، ويصلح الكبد، وينفع المعد، ويغذو ويسر، وينقظ ولا يضر، ويحلل ويلين، ويرطب ويسخن، وإنه لمفضل على ثمر النخل، بنص الكتاب فى سورة النحل، فما للنخل من تعاظم علينا، ولا تطاول بفضل إلينا، ولو لم يكن الرأس وهو الذنب ، لما ورد أيكفر بخالق العنب.

قال النخل: ليس الأمر كما قلت، ولا المدح كما غفلت، أليس منك من يحط الإنسانية من رتبة الملائكة إلى رتبة الحيوانية، وهو جماع الإثم والكبائر، ورأس الشر وباب الحقائر.

فقال الكرم: قد قلت يا نخل شططًا، وغلطت خطأ، وأخطأت غلطًا، فمن أين لك هذا التخصيص، يا من ثمرته الحشف والشيص، رأسك مأوى الحيات، وجسمك نتين الجنات، وأنت صعب المراس، والشامخ على الناس بالراس، خوصك أخشن من ورق القصب، وثمرك يجنى بالنصب [2]، ومن خيلائك المنسوب إليك، لا تثبت قدم الراقى عليك، يا دقل، أنا العقل، ليس الفخار بالجذوع العظام، ولا بثمر نواه كالعظام، بل أنت بما هو نفع كله، أصله وفرعه، وغصنه وزهره وحمله، ولقد أخطأت أيها النخل، الذى تصحيف اسمه البخل، وتعديت يا غير محترم، على اسم الكرمة المشتق من الكرم.

---

(١) الأناس فى ب.   (٢) النصب : التعب..

فقال النخل : قد تطاولت يامن لا يفلح بغير غرسه، ولا يطرح قائما بنفسه، تزاحم شجراتك الحشائش، وتأكل ثمارك النوامش، يامن سوقه عيدان، وغصونه ديدان، لضعف فيك انفرشت، وعلى الأعواد عرشت، مثل ضرب المثال، وقيل فيما قال.

حصل خصالا تكن [١] مجدا تعيش به ∴ بين الأنام ولا تركن إلى بشر
وتكونن مثل الكرام رام علا ∴ بغيره فغدا كلا على الشجر

ثم كلح وجه النخل من الغيظ، وكاد يهتز من الغيظ، وقال : يامن كبره وضعه، وبغيه صرعه، لولا عناية الأجواد، لم تعل على الأعواد فاستتر بالأوراق، وخفض من التراق، ولا تفاخر بقلة الماء، من أصلها ثابت وفرعها فى السماء، وانها تعمر بيتا وتمونه، وتكن ساكنه، وتكسوه ويعلف دوابه، ويوتى كل حين صبغة وشرابه، فجذعها جسور البيت وأخشابه، وليفها والجريد سقفه وأبوابه، والسعف والكرب جدرانه وسحطه، والخوص والقلب شرحه وبسطه، والطلع والثمر قوت الساكن، والجذع ماعون تغاير ومراكن ، واللب الأبيض مراوح وقباب، ونوى التمر علوفة الدواب، ودقائق العرجون خيوط وحبال، وغليظ الخوص قفاف وسلال، والليف الأبيض عمائم وثياب، والدبس [٢] والسيلان صبغ وشراب، وسطح الجمار كن كنين، وعند المخافة حصن حصين، والتمر حلو يحب بنفسه، وقوت وحده، نخله وغرسه، وفاكهة وغدا، ومتجر وردا، فهل للكرم الحقير الذميم، مثل هذا النفع العظيم، ثم فى طلعى وجمارى ومائى، وبسرى وسائر أجزائى، من النفع والخواص، ما

---

(١) تخذ فى أ ، هـ.

(٢) الدبس هو العسل المستخرج من الرطب.

يعلمه العام والخاص، فدونك الظل ليسلم قشك، وادرج ياكرم فماذا عشك.

قال : فتعلق الكرم بالنخل وطلبا التنافر إلى ابن أبى طالب، إذ هو الحاكم فى هذه المطالب، وجعلا الإقصاد من الكلام، على أيهما أشبه بالأنام، فمن كان أشبه وأنفع للبشر، كان المفضل على جنس الشجر، ثم تأدبا للتقاضى، وتمثلا لدى القاضى :

فقال النخل : إنا خصمان بغى بعضنا على بعض، وقد طال مطال الإبرام والنقض، وما تقاضينا، حتى تراضينا ، بأن الأشبه منا بالإنسان، هو الأفضل من ذوات الأغصان، فاستمع مقالى ومقاله، وها أنا أسأل سؤاله.

قال : فليذكر النخل ما عنده، ثم يجيب الكرم بعده.

قال النخل : أيها الإمام، أنا أشبه من الكرم بالأنام، لأن رأسى كرؤوس الناس، وأحب اللقاح والأنس والمراس، وريح طلعى كريح المنى منهم، وأغذوهم ويغذونى بالخارج عنهم، وأحب وأبغض وأحبل باللقاح، وأمرض بالبرد والحر والرياح، وينشق القشر عن طلعى المنضود، كانشقاق المشيمة عن المولود، وهذا أيها القاضى ما إلىّ، فاحكم بالفضل لى أو علىّ.

قال : حتى اسمع كلام الدالية، وإن كانت كلمة النخل هى العالية.

قال الكرمة بعد الاستفتاح : أيها القاضى، أنا شبيهة الأرواح، لطغى وسرى يشاكل الإنسانية، وبيتى وتعريشى يشابه البنية، فساقى القائم وفروعى العراض، كأوداج الإنسان وأعصابه الغلاظ، وأغصانى

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

اللطاف والخفية، كالعروق البياض والليطية، وتملى الأغصان بالماء، كتملى العروق بالدماء، والحكم قديم لمولانا، فاحكم بالقصد لأولانا.

قال : إن النخلة قريبة إلينا، والكرمة حبيبة لدينا، أوراق هذه حسان نضرات، وسعاف هذه دائم خضرات، والزبيب والعنب، كالقصب والرطب، ثمرات مكرمة، ومياه محرقه، وكل يقطف ويكال ويوزن ، ويؤكل ويعصر ماؤه ويخزن، والغدا الصالح الدهن والتمر، والشراب المحرم السكر والخمر، ثم رفع الحاكم راسه، وأنشد جلاسه:

بين الدوالي ونخلنا نسب ∴ كلاهما بالهواء يضطرب
فهما سواء والفرق بينهما ∴ انهما شاسع ومقترب
طلعهما دائم وأكلهما ∴ لنا وهذا عليهما يجب

قال : فخر النخل راكعا، وذل الكرم خاشعا، وقالا : يا حاكم الحكام.

فقال : الصلح سيد الأحكام، والحاكم لاينصر العنب على التمر، ولا يفصل بينهما بأمر، وإن أراد النخل النصرة، فليأت برطب البصرة، وإن اختار العنب اللطائف، فليحضر عنب الطائف.

قال : فذهب النخل يهرول، وولى الكرم يولول، حى غابا عن العين، وصارا خبرا بعد عين.

المفاخرة الثالثة

بين التين والعنب

مفاخرة التين والعنب

للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن المحب

الحمد لله الذى منح عباده من فضله الأتيان والأعناب، وذكرهما فى كتابه العزيز تبصرة وذكرى لأولى الألباب، وتمنن بالعنب وترجمه وفخمه وكرر ذكره، وأقسم بالتين لنبيه على كثرة فضائله ومنافعه وبعظم قدره، وجعلهما من ملوك الفاكهة وفضلهما والنخيل على سائر الثمار ، وأسكنهما الجنان فطابت بهما وزانت وحصل للنفوس بهما الاستبشار، ونوع لهما من جنس كل منهما أنواعا، ليكون له فى المملكة من جنسه أشياعا وأتباعا، كالوزراء والنواب والحجبة والخدام والعساكر، فتتفرق فى الناس للتآلف بهما ويجتمع لديه فى الدساكر، فإذا حل حلوا مبتهجين فى حلل مدهشة الألوان لحلوله، وإذا قفل قفلت الخاصة معه ما بقيت استحالة حاله لقفوله، فيفقد ناظر الناظر فى رياضها نضارتها من غصنها الناضر الوريق، ويجدها كف كأنها فى كرة كنّة مكنونة مزيلة تعد حسنها الأنيق، ولكنها فى ليالى الشتاء ومجتمع الأحباب، لنا منادمة لطيفة وخبر عجاب، فإذا عاد الملك من قابل عادت الخاصة ببهجتها لحضرته والتفت الأعوان، واصطفت الجيوش لمن يهوش أو يميش وقام البطل وقعد الجبان، فسبحان من جعل العام فصولا أربعة، وجعل لكل منها ثمارا متنوعة .

فلما عزم الربيع على الرحيل موليًا بمشمشه وتوته بعد وروده، أولا برياضه الخضر وبروده المميزة بين أزهار، وورود، أقبل الصيف ميمما بجيوشه وعساكره، وجمع ما كان متفرقا عنه فى دساكره، فأول ما قدم قدّم من مطالعه شاليشا المفدى عنبا سابقا، فدهمه ووقره فى ميدان سبقه التين الحبيب سائقا، فعاتبه العنب عند ذلك وقال:

أيها الحاطم جهلا إن كنت جليدا فتلبث للنزال، وأنشد قائلا بارتجال فى المعنى والحال:

أيها الجلف الطويل ∴ فإنك الجافى الثقيل
قد زدت طولا غير طولك ∴ ما أنت الإ عنشليل

فقال له التين : ومن تكون ياردى الفعال، يا حامض الطعم فى المبدأ وغالبك أيضا فى المال، وأنا المليح شكلا وفعلا لا أزال، فلحسن جناى أجنى وأؤكل بالغدو والآصال.

فقال له العنب : أيها الظالم فى قوله وفعله، والمنتسب إلى شئ ليس هو من أهله، ألست الردئ الدلع الثقيل على القلب، المصلح إفساده للمعدة بشىء من القلوب لوزا فتؤكل به أو جوزا، أو انيسون فإن اتفقا معا خير لك لكى تنال فوزا، وأنا المليح المنتظم فى عقده، والرشيق الرجيح فى قده، والمختلف الأنواع والطعوم، ومنى نوع عجيب يذهب الهموم، فالنفوس جميعا لا لهوانى تهوانى، والقلوب أرى إنى أراها تميل إلىّ قبل أن ترانى. وأنشد :

وكل لما يهواه منى طالب ∴ وللناس فيما يعشقون مذاهب
فمن رام منى ليل وصل أطعته ∴ وفى كل ما يهوى محب وراغب

وأنا المقيم صيفا وشتاءا على طول المدى، غضا طريا بهيا شهيا منضدا.

فقال له التين : لم تعاظمت بمذموم وذكرت، وأطنبت فيما فخرت وفجرت، أتتبجح إنك للعجوز أم الخبائث أب، وهى التى من اقترف منها ـ لله عز وجل ـ أقرب غضب، وكان حقا عليه أن يسقيه من طينة الخبال عصارة أهل النار، ويحرمه فى الآخرة شربها إن مات وهو على تلك الحالة يعنى الإصرار، وأنت السقيم السطيح الملقى على القفا، ولولا الوساد والإسناد لاندرس رسمك وعفا، فأنت كالميت لازلت على السرير محمولا، وبالقار مزملا والبرد مزبولا، ومع هذا فأنت ظالم فى فعلك، غادر بمن قرب منك من أبناء جنسك، ملت عليه ووثبت وثبة جائر ولففت عليه معظم حبالك، ردعته بها فعاد هالكا بعد ذلك، فهذه عين الوقاحة والقحب مع أن جميع أنواعك أناث أيمات، غير أن منهن عواقر لا تلقحن ولا يلقحن فهن خبيثات عقيمات، وأنا الحامل القائم فى الجو على ساق، يروحنى النسيم بالعشى والإشراق، فتنموبى أصولى وفروعى، وتتنوع به أغصانى وتشد جذوعى، فأنا كالعروس أجلى دائما ثم اخلى فى كل عام بعقد جديد مع فحل لاقح من فحولى كرام وأغطى جسدى ووجهى بأوراقى، وأكشف عن لبى وقلبى كرما لقطافى وذواقى، وأبكى وأخشع عندما يهجرنى الأحباب، ودمعى يحفنى إذا ذاب، أحلى من السكر الجلاب، وقد أحسن فىّ القائل وأصاب، حيث قال عنى وأجاب:

التين يعدل عنى كل فاكهة	∴	إذا بدا لا يجافى حسنه الزاهى
بخمش الجلد قد لانت معاطفه	∴	كأنه راكع من خشية الله

ومن حبى واشتياقى وعزتى على الناس، يجعلون على شبهى إذا فعدوى سكرا ولكن بغير القياس، وأنت مشبه عندهم بالقطن أو بالشمع، وأين هذا من ذاك؛ هذا ضرر وهذا نفع، فأنا منسوب إلى السكر تشبها وشهرة عند الندا، والسكر لا شك أطيب من التمر وقد فقت عليه بلا اعتدا، وأنت مشهور منسوب إلى الرطب، وهو لا شك أفخر منك وأطيب نتبين بهذا فضلى عليك بدرجتين ووجب ، وإنى أفوق على الحلواء وعنصرها فالناس تطبخها والله يخلقنى، حلوا طريا بذاتى غير منحرف طعمى ولا أحد بالنار يحرقنى.

فقال له العنب : أيها التين المناظر، إلى متى أنت فى الحق ومكابر، أما علمت أن الأمير على السرير جالس، وحوله الخدم قياما تطيف به فى المجالس، وهل أنت الا من جملة الخدم لى والمماليك، مُدُّون عندى فى زمرة، الزنوج والصعاليك، ومع هذا فليس فيك شيء حسن فتذكر، ولا دونك قبيح قط فتهدر، ولا أنت ممن يتناسى فيذكر، لأنك عشنق عنشليل، ذو عجر ونجر، فحرمك من حرمك، قاحل صلع كأنك (١) عرفج، لكنه ضعندند ضعنفس، عنجل بهنج، وجلدك أيضا جلد حالك خشن غير مدعلج، وأطرافك محدودبة، وعالجهم بقتل المعرج، وأطمارك أيضا خيمته ملبده ضخمة، كأنها فليج مصطخمة، ذو صخرة قد ملاها غبار وصعار، نكشت وتساقطت فعريت، واعتراك التخمة، وظلك مكروه عند ذوى العرفان، لأن له عاقبة وخمة، وأنت مبتلى بداء قبيح كالجدرى شكلا وفعلا وهو الحلازين، يذوب ويدلى ويعرى فغرقت مالحا ولازين، وحملك أيضا دائم قليل الثبات فى أصله، هذا إذا بذلت جهدك فيه عاما

---

(١) كانه فى أ .

بعد قلة حمله، ولولا البعوض باللقاح له بعد ذلك تنكح، لما كان يملك نفسه سقوطا ومن كان كذا كيف يفلح، وقد أثرت عليك هذه الحالة الشنعى، بأن غاض البعوض عند تناهيك ديدان بقلبك ترعى، وتنشق أيضا فيأكل منك الحشرات ويلقى دائها فيك، فتنتفخ وتسيل وتتلف بغير نفع ولا يمكن تلافيك، ومكثر الأكل منك سيبلى فى جسده وينمى القمل، ويغشاه عقيب أكلك نمول ويبقى لساعته كشبه الثقلة بالحمل، وبحصول هذا الأذى منك كنت إذا أكلت فى الجنة من قبل، سببا لإخراجنا مع آدم منها وتشتيتنا بعد جمع الشمل، ومع هذا فأصلك الكثيف بسقف الكنيف موصوف، وإذا طبخ منه قد حان وقوده بقطع اللبن معروف، وإذا شمه الادر المسكين يوما فليس تملك نفسه، سيما عند من وجع فى المثانة والخصية مسه، وماؤك أيضا لقطافك سم ناقع، وضرك فيهم أقوى من المنافع، وأنا الرقيق الخصر بسط القصب، وأوراقى بأغصانى كزمرد على قضب الذهب.

موال :

عرائس الكرم رب العرش حلاها ∴ بأحسن ملابس وحمضها وحلاها
وفى الخطب لمن أخفاها تولاها ∴ حتى أجرت من مخباها مدلاها

وعرف أزهارى وطيب ظلالى يشفيان السقيم من الوصب، وثمارى حين تجنى تزهو على طيب الرطب، وقد جاء فى بعض الكتب المنزلة من الملك الجليل « كيف تكفرون بى وأنا خالق العنب »، قال ذلك لبنى إسرائيل وذكرنى الله تعالى فى القرآن فى مواضع تسعة، وكان نبينا ﷺ يحب العنب، فأنا دالية غير ذابلة مدولانية، فى جنة عالية، قطوفها دانية، تبدو للعيون عناقيدى من عيون عيونى، فلست أطوى على الناس نشرى

بغمض جفونى فايس أحد يجفونى ، وأنا فى الفواكه أيضا فاكهة دائمة تطوى وتنشر، وفى الأطعمة طعام فاخر يوصف ويذكر، وفى الأقوات قوت ومع الأدام أدام، وفى الأدوية دواء حسن تام، وفى الحلوى أيضا أنا حلو فائق، وفى الحوامض لى حمض حاذق، وفى المشارب لى شراب كافى، وفى النقلات لى نقل شافى، لما روى عن النبى الحبيب الصادق المصيب، أنه قال لأصحابه : «نعم الطعام الزبيب»، يشد العصب، ويذهب الوصب، ويطفى الغضب، ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفى اللون، فصلى الله على قائله بدوام الكون.

وروى جابر بن عبد الله عنه أيضا عليه أفضل الصلاة والسلام والتحيات أنه كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل سبع تمرات أو زبيبات، وروى عن على رضى الله عنه أنه قال : من أكل فى يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه، وجميع هذا المروى للحافظ أبو نعيم أورد ذكره، والأسود منه يؤكل على الريق بالفستق المقشور وحصى اللبان الذكر، فيذكى الإنسان ويقوى ذهنه ويصفيه من الكدر، وإذا ألم الإنسان ضرسه من ضر بان به يكون، ولاك عليه زبيبة مع السداب عاد إلى السكون، وجاء فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ **أيها أذكى طعاما** ﴾ أنه الزبيب.

وماهى أيضا مختلفة الطعوم والألوان والأجناس، فمنها ما فيه إثم كبير ومنافع للناس، ومنها ما هو موصوف بنحو من صفات العسل، ومنها ما هو قارص (١) ولكن منافعه شتى فسل، قال ﷺ « نعم الأدام الخل اللهم

(١) فارض فى أ ، فارب فى ب.

بارك فى الخل فإنه كان أدام الأنبياء قبلى » ولم تفتقر بيت فيه خل، فقد طاب به المحل حين حل، والفج منى أيضا ماؤه للصفرا قامع، وللقئ والإسهال قاطع، وينهض الشهوة لتناول الطعام، ويعمل منه ذلك الطّبيخ الطيب للأنام، ويعمل منه شراب يسكن الغثيان عن العليل، ويقطع العطش الشديد عن كبد الإنسان العليل، وفى الخل أيضا ما هو أسفح اللون أو أحمر فإن قامع[١]، ومنها ما هو أغبر أو أخضر أو ذو زرقة أو أصفر فاقع، ومنها ما هو كالماء لونا وطعما وليس بخل ولا نبيذ ولا راح، ويطول الشعر حقا إذا دهن به فى المساء والصباح، وقد قيل فيه أنه يعجل الشيب فمن أين له دليل ظاهر على معيب حكمه تخفى، وإذا شرب لوجع القلب منه بسورة الحمد تتلى عليه سبعا يشفى، وإذا سقى منه [٢] الصمغه ما يقطر من المشغوف بحب خمرى فإنه يبغضها سريعا بشرط أن لايدرى ، وإذا فقد المصلون الطهور غسولا [٣] ووضوء، جاز لهم إذ ذاك لقول الحنفى الطهور والوضوء، وذاك المسمى صريحا بدمع عينى وماء أصلى، يجدوه حقا حين أبكى لظلمى بقطع وصلى، ويسمى بالصمغة الجامد منه على الأغصان، وشربها مع الشراب تخرج الحصاة من مثانة الإنسان، ويعصر ويجعل التطاخا بها وكذا القوابى المتقرحة، بعد غسلها بنطرون وكذا التآليل المتوقحة [٤]، وإذا لطخت بها وبالزيت حلقت منابت الشعور، وبالتكرار ربما منعتها النبات فى آخر الأمور.

وعصارة ورقى إذا شربت نفعت من قروح الأمعاء ونفث الدماء، وضعف المعدة وللحوامل من النساء إذا وجدت من الرحم الماء، وكذا فعل

---

(١) ناضع فى أ ، جـ. (٢) مع فى جـ.

(٣) غسلاً فى أ

(٤) المتقرحة فى ب، دا والتآليل: حرص جلدى عبارة عن حبوب مستديرة متقيمة.

خيوطى الرقاق إذا نقعت فى الماء، ثم شرب الماء عنها نفعها كالأول على السواء ومضغ لفائفى كلها تقوى اللثة بعد استرخائها مع التكرار وزهرى بذبل ويجعل يومين فى زيت الاصاف، ثم يعصر ويلقى ويرفع الزيت فإنه يقاوم دهن الورد بلا اختلاف، فأنا ذو اوصاف عجيبة بديعة، وصفوف كثيرة عالية منيعة ، ويؤكل منى مص [1] وقطف وقصيف ويانع وحلو وحامض ورطب ويابس وجامد ومائع، وقد جمعت بين البياض والحمرة والسواد، والف ذلك فىّ وجعله عقداً نضيداً رب العباد، وقد أحسن فىّ القائل وأجاد حيث أفاد.

كل الفواكه سلطان لها العنب	إذا كان أكلها فضلا لما يجب
دان [2] لطيف جواد لين رطب	حلو وصاف رشيق كله [3] عجب
آها لزورته وآها لرؤيته	اوّه لجفونه ايه لها وصب
إيها فقد كملت فضلا محاسنه	أفديه فاكهة ابقى هو الأرب
إذ كل صنف له معنى يفوق به	الإ معانيه فقد ضاقت لها الكتب

فقال له التين وقد انصدع راسه واسرف شفتاه، وتزلع جلده وترقس لونه واحمرت وجنتاه، وزرّ مما عراه عنقه وزرت عيناه وخفق لذلك قلبه، وطاش منه لبه، وغلظ جيده وانتفخت أوداجه، وظهر من جميع فجاجه، وقال:

أيها العنب أنا كنت أولا أتناعس عنك وانكسر، وقد عدت لك الآن أتيابس فلا أتناعس ولا أنزجر، أتزعم أنك ذو ألوان فاخرة، مع عصر شومك الذى خيرك إليه [4] كان كالنقطة فى الدائرة، وليس لك معى نوع

(1) قصر فى هـ.
(2) وانه فى أ ، هـ.
(3) وريق فى د.
(4) نسبته إليه فى جـ.

تليق به المفاخرة والمكاثرة، وهل أنت إلا حقير ذميم رخيص الثمن، يدوسك الكفار والفجار وكذلك الفساق وأهل الاخن، ويغدونك بالتراب ويقتلونك عصرا فتموت صبرا إذن، وأنا العزيز العال مترجم عند من رحم أو فطن.

أجلب رطبا ويابسا من غالب الأقطار، وأحمل فى الفيافى والقفار، وأهدى للعالمين طرا فى سائر الأمصار، وما تكون فى شأن إلا وكنت قبلك فيه، خلا العصر فإنى عمدا أريد تجنبه وتجافيه، وماذاك إلا لأنه منقسم ثلاثة أقسام متشعبة: مكروه وخلال وحرام، فالحرام معلوم وعنده بدار البوار (١) والحلال المقيم منه جلالا فى هذه الدار لابد له فيها يدوم حلالا من النار، فالحذر الحذر منهم جميعا والفرار الفرار، وما عدا ذلك فأنت فيه دونى وأنا المقدم، حتى أفخر شىء فيك وأعز وأكرم، وأطيب طعما وأغلى ثمنا وهو الدبس إن لم يضرب بالعيدان منى وإلا فهو دون ما ضرب لى من المنظر والقيمة والمطعم، وفى فضل أفوق به على الكل ليس بعدم (٢)، أعدى الفرات بغير من ولا مضرة، وخلقى وخلقى وزهرى مع اسمى بغير تلون (٣) فلى الهنا ولى المسرة، فلست أخشى معرة، وكذا الطعم منى يوجد واحد فى كل خرة، فلم تكن مذاقته فى ابتدائى حامضة ولا حلاوته فى انتهائى مرة، فأخدع ناظرى كمثلك يوما فينظره نظرة مستقرة، والغش له من داخل قلبى (٤) كمن هو قد فطن، كذا الزيف المبهرج كائنا ويحذره اللبيب ومن فطن، وهذه الخلة (٥) ليست من صفات المؤمنين، وإنما التلون والتنميق بغش والخداع والغدر من شيم

(١) القرار فى د. (٢) بذم فى هـ. (٣) لون فى أ ، كلون فى هـ.

(٤) بقلبى فى حـ. (٥) وهده الخلة = وصفاتك فى ب.

المنافقين، لكنى ذو أكلة ناصحة ذكية، وخلقة صالحة سوية، وطلعة باهرة سنية، ورؤية فائقة بهية، وشكل حسن عجيب، أخرج فى أكمامى، مرصعا بين أعلامى، ناشرا راياتى أمامى، بزى واحد نضير سامى، أتلقى أحبابى بصدر رحيب، لست اختلف عليهم أبدا فى صورة ولا معنى، فلهذا عرفت فيهم أصلا وفرعا، صغيرا وكبيرا، قديما وحديثا، رطبا ويابسا باسم مفرد به أتمعنى، وهو ألطف من اسمك الحقيقى للين حركته وخفتها وسكونه قبل التسكين له واسمك ثقيل لحركاته المتتابعة، وثانية عن السكون والتسكين أيضا للزوم القلقلة واسمى مقدم عليه أيضا ومفضل بما حل فيه من أحرف الهجا، فالتاء للقسم وهى ثالثة ومنه أوله فهى وتر والوتر ارجا، والياء للندا وهى لفضلها خاتمة ومنه واسطه والنون ففى (١) كلينا ثم لها ملجا، وفى حساب الجمل هو أوفى منك عددا وأقوى، فيائى بعينك ظافرة يقينا والباء منك بيائى ولاتقوى، وأيضا فأنت ذو أسماء وأطوار متباينة مختلفة حصرها والكلام فيها ليس يمكن لكونه جاء نص صحيح عن مسماك بالكرم وإنما الكرم قلب المؤمن، وفى الميزان أنا أوزن منك وفى المنظر أنا أشكل منك وأزين، وفى المخبر أنا أنعم منك وأحلى وألين، فقشرى غير صلب ولا مكين، ولا لى عجم قوى فيعوقان الأكلين، فأنا فى الارج مسلما مازلت وأنت فى الحطيفن، مبتلى دائما ببلاء عظيم مقبم مضيعن، يجذع بأطرافك كلها واحدا بعد واحد من غير قصاص لها ولا تعويض ، تحيا كئيبا ذا جسد ناحل لكنه على التعذيب والقطع والصلب والعصر والنار والسحق صبور، ثم تموت كفينا (٢) وتبدو كمد القلب باحل حزين منكسر محصور مأسور،

---

(١) فهى فى أ ، جـ. (٢) دفينا فى هـ.

ذق اليم القطع يوما ∴ وعلى التعذيب فاصبر
ولنار الكى قاسى ∴ أيها الحادى بمكر

ومع هذا فأجناس كأجناسك، وإن عددناها بعدد أنفاسك، ولكن ليس لنا فى تعدادها مصلحة زائدة، تكون فائدتها علينا عائدة، وأيضا وألوانى أحسن منظرا من ألوانك، وأنا فى نثرى أبلغ منك فى نظامك، فكأنى مرصعا بأغصانى بين أوراقى فى سوادى وبياضى والاحمرار، نجوم طلعت بأفقها عند الغرب فتلاها شفق [1] وانها بمستوقدات لها مع الليل ضوء النهار، أو كأنى حين اجنى وأجعل مصبوبا بأطباقى على ورقى در وبهرمان وبنادق مسك نثروا، باقطاع الزمرد فى بدور اللجين أو التضير فانسابوا عليها ذرافات ووحدانا فانتشروا.

ما أبهج منظرى وأحلى ∴ ما أرفع رتبتى وأعلى
ما ألين مأكلى وأهنى ∴ ما أطيب مطعمى وأحلى

وبعد هذا جميعا فأنا أشبع الجائع وأكفه، وأكفى الفقير القانع وأعفه، واظفر المغير منى والنحيف والمعبأ بالسمن، ويقصدنى أحبابى سحرا بوصل وأنت ملقى فى الجفن، فيأكلك الكلاب والذئاب والذباب والخنازير، وكذلك الضياع والسباع والأفاعى والزلاقط وكل ساقط والزنابير، وماذاك إلا لحسن فعلى فى البدن، وعظم نفعى بأكلى على الريق إذن، وأما ماذكرت من انى أولد القمل فى جسد المكثر منى، فذاك والله صحيح عنى، وهو فعل بخيح لانى انهض الحرارة الغريزية التى هى مادة

(١) غسق فى أ.

الحياة وأقوها، وأزيد شحم الكليه وأربها، وأخصب الأبدان الهزيلة وأنمها، والقمل لايوجد إلا على الجسد الصحيح، لا العليل الغير فصيح، وإذا مات الإنسان يفقد القمل من جسده وثوبه الذى يواريه، وذلك لمفارقة الحرارة له فتراه يهرب منه سربا من جميع نواحيه، وقولك بأنى سريع بابعالى بالحمل من أكل منى صحيح، وما ذاك الا لأنى، جيد الغذا مفتح الأمعاء كما يأتى بيانه مترجما عني، وقولك أنى كنت السبب أولا فى الخروج من الجنة قول مردود فلا يصدق، لأن ذلك مشتهر بغيرى وقد أبهم الله تلك الشجرة فليس يمكن أن يحقق، ولو قدر صحته لما صح لومى لإنى مأكول لا آكل لكنك اخرق، وأيضا فأنت مشتهر بذلك دونى فأنت باللوم أحق منى لكنك أحمق، ولكن لما طفق آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة لم يسترهما منه شيء سوى ورقى، ولهذا أعظم الله على المنة، وجعلنى محرما على الفجار لأنى رقيق القلب وهى عظيمة المحنة، فلست أخير كغيرى بقدوم ولا منشار، ولا انصب عرضا لدونهما خشية الفتنة وكذلك حجبت النار عنى فليس تحرقنى احراقا شافيا لها كغيرى، ولا ينجح الطعام الذى يطبح بى وإن كان لبنا انقطع عقوبة لمن أراد ضرى، حتى انه من أكثر إحراق خشبى بالنار، فإنه يبتلى بطلوع الشعرة فى عينيه من داخل الأشفار، ومن قطع منى أصلا أخضرا لأساس[1]، فلابد ان يبتلى ببلية شديدة الباس، وقل أن ييبس منى فرع إلا ويخلفه ما هو أحسن منه ويستوى على سوقه ولا أصل كامل وذلك نادراً إلا وعاد وكانه أمر قريبا منه ولو بعد حين نحوه من عروقه، وأول ما خلق الله الخلق القطر للناس ، خلقه فى الجنة من قطرات لبنى إذ قطعت

---

(١) لا ييس فى هـ.

أوراقى وخصفت للناس، ولهذا يشبه خلقه خلقى، فورقه مثل أوراقى ، وحمله كهيئة حملى، وهو يشبه داخل القلب من اغداقى .

وقد نص أهل المعرفة والخبرة بالفلاحة النجبا، أن التين خير الفاكهة مطلقا ومن كل نوع ارخاها خشبا، وزعمت أيضا بإنى للباطن مؤلم وذلك زعم باطل من قال به هذى، فإن الأطباء اتفقوا على انى أقوى الفواكه غذا، وأفتح الأمعاء أيضا للغذا، وإن من أكل منى خمس حبات بنصف أوقية حلبه على السوى، وانيسون ورازلنج [1] لوجع الفؤاد والقولنج مقه [2] منهما واستوى، وإنى للسرع أو السعال المزمن رطب ويابس عظيم الدوا، وانى موافق وجلاء لرمل المثانة، وأفتح سدد الكبد والطحال وأغسلهما غسلا وإنى أنفع الأعصاب وألين الطبيعة وأدرالبول وأنقى المعدة من الأخلاط البلغمية وأنفع خشونة الصدر نفعا بينا وكذلك أيضا قصبة الرئة، وأسكن العطش الكائن للإنسان عن مالح البلغم، وإذا أكلت مع السواب والجوز احفظ من الضرر وأومن من السم، وأنا عظيم النفع جدا إذا أكلت بالجوز، خصوصا على الريق أو بعد طعام لطيف وكذا فعلى باللوز، ومداومة الأكل منى يصلح لون الجسد الكامد، وإذا تغرغر ذو الخناق بماء مطبوخى أنضجها وحلل منها العاقد، وفى من المنافع أضعاف ماذكر مما فهموه عنى وعكموه منى .

واكتفى [3] إلى القول الفصل الذى لاشك فيه ولا ارتياب، وهو كتاب الله العظيم المقدم حقا على كل كتاب، لأنه وقع بى على القسم

---

(١) دراريانج فى أ ، جـ.

(٢) فقه فى جـ، فقد فى د، نقد فى هـ، وربما كانت نقه.

(٣) والكفى فى أ.

الصحيح من الله تعالى فيه، وذلك لكثرة منافعى وفوائدى وتنزيهى عما ليس يرضيه، والسورة التى ذكرنى فيها تعرف بى، وماذاك إلا لتفضيلى عليك وعلى من عداك فمن يساميني بفضل ربى، قال فى تفسير سورتى الحبر والبحر ابن عباس، سيد العلماء الراسخين الأكياس، هذه الثمرة أقسم الله بها لأنها تشبه ثمار الجنة، ولكونها على قدر اللقمة وخلوها من العجم والنوى، فهذا فخار لى حق ثابت بغير مخرقة ولا دعوى، ونقل البخارى أيضا عن مجاهد بغير شك ولا التباس، أنه قال فى تفسيرها هو التين والزيتون الذى يأكله الناس، والقسم إنما يقع بالفاضل دون المفضول وبالمعظم أيضا وبالمحبوب، وبالمنزل عن الشر والدال على عظم خالقه والمرغوب فيه والمرهوب، فهذه دلالة عظيمة تشهد بفضلى عليك وهى قطعية، وحجتها بادية ظاهرة سمعية عقلية.

وروى فى الحديث « من أراد أن يرق قلبه فليدم أكل الكسر » . قال اللغويون وأهل العلم هو التين وقيل العدس. وروى أبو الدرداء عن سيد المرسلين محمد خاتم النبين عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين، أنه أهدى إليه طبق من تين فقال : كلوا وأمر الحاضرين من أصحابه ولواذه، وأكل منه وقال : لو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا منها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ، فالحمد لله الذى جعلنى نافعا للعباد ملائما لهم غير عسر عليهم ولا أشرس، وبعد هذا فأنت تعلم أنه ماكرم أحد عند الله إلا بالتقى، وماساد من ساد فى الدنيا والآخرة إلا بها وبها ارتقى، والآخرة خير لمن اتقى، فهذا الذى فضلنى عليك بالقسم وأعطانى قلبا سليما وحالا صادقا،

وقد أحسن فيّ بعض واصفى حيث قال مبينا ومحققا

ياصاح للتين أوصاف معظمة ... تسمو الفواكه فضلا ناله القسم
وخص أيضا بتشبيه بفاكهة ... فى جنة الخلد لا صخم ولا عجم
بل لطف ذات ولين[1] فى عريكته ... كأنما عينه صيغت لنا لقيم
والطعم حلو ولا قشر يمانع ... من نهش ولاحب برى منه سقم
وهو الذى صانه المولى فعزتقى ... وهو الفضيل الذى دانت له الحكم
كل الثمار فداه قد يدوم لنا ... فهو الجميل حلا [2] قد زانه كرم

فعند ذلك شد عليه العنب وماتلعثم ، وظهر من نور أكمامه فما استتر ولاتكتم ، ثم تحصرم وقد اجتمع وتلملم، ثم تطاول بعد ذلك وتمايل وتدلى، ثم عيل [3] وقد تكلل [4] واحلولى، ثم تسلسل إذ ذاك ودنا وتدلك فما تحبب ولاتزبب ولاتذلك، ثم تماسك بعد ذلك وزلم، ثم تصلب حينئذ وصمم، وقد اصفر لونه بعد أن كان مبيضاً، وصار كالشهاب حين تراه منقضا، ثم تلطف بعد ذلك وصفا ورق، وجلد فما عفن ولا تخ ولاشاط ولا احترق، ثم قال .

أيها التين إلى كم هذا الجدال والخصام، وكم تكلمنا بأسوء كلام، وتشاجرنا وتساخرنا، وصار ذلك فى الأنفس كالكلام، وتفاخرنا وتفاجرنا، وماظهر لنا بذلك أمر ولاتم نظام، ومادمت تقول وأقول، دون قاض فيصل فذا شيء يطول، ولكن الذى يقتضيه رأيى وهو الصواب، أن يحكم فينا عدل يكون لديه فصل الخطاب .

فأجابه التين سريعا إلى ذلك، وظن كل منهما أنه ناج وخصمه هالك،

---

(١) ولطف فى أ ، ب ، جـ.

(٢) محله فى هـ.

(٣) عبر فى أ ، هـ.

(٤) تكفل فى أ ، هـ.

ثم تحاملا إلى رجل له خبرة ودراية، وعلم بالأصول والفروع وفن الرواية، وبمعرفة الموصول والمقطوع وسير النحو وفهمه، وعرف المنقول والمعقول وخبر الجنس والنوع وقسمه، وأتقن علم الحقيقة والمجاز وأحكمه وغرس جميعا فى شج فؤاده غرسا، وانشب فيه ظفرا له وضرسا، وخاف تفلته فأودعه قلبا لاطرسا، وعمل فيه بقوله تعالى : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا** ﴾ فعرضا عليه القضية كلها، دقها وجلها، وسألاه الحكم سريعا بقوة علمه وجوده فهمه فيهما، فقال : اصبوا هنيهه فإنكما على الحبير سقطمتا فافهما، ولكن أيها الخصمان لا أحكم بعلمى فى الغالب، ولا أتقدم فى أمر وقع وأنا غير هايب [١]، ولكن ليحضر كل منكما ببينة صالحة ليعلم الصادق والكاذب، ولتكن البينة عندى مقبولة غير مردودة، فإن شهود الزور معلومة لدى ومعدودة، فذهب كل منهما وجعل يشتد ، ثم جاء بشهود له كرام لاترد، هذا أى التين فيما جمع لساعته قبل شروق الشمس، وهذا أى العنب مما وجده مهيأ له قبل ذلك فى المقام بالأمس.

فتمايل القاضى عند ذلك طربا، وتبسم فرحا وعجبا، ثم قال لهما جهارا بغير خفا، لقد جئتمانى بأهل صدق ووفا، وتركتما أهل المحال والجفا، ولكن ليس للحاكم أن يحكم وهو جائع، فإن حكمه صار له وللخصوم غير نافع، ثم أكب على المآتى به بهمة وانهماك ، يجمع بين اللونين، ويقرن بين الزوجين، ويبتلع بلعا بغير التباك، فتصبرا عليه ساعة لعله يرفع أو يقنع، وإذا به قد أتى على الجميع أكلا وما شبع.

---

(١) عايب فى ب ، د.

ثم رفع راسه بعدما كان اكبّ، وقال : الحمد لله الذى خلق الفاكهة والأب وفلق الحب، وخالف بين الأشكال والطعوم والألوان، وسخر ما فى السماء والأرض جميعا للإنسان، وصلى الله على سيدنا محمد واله صلاة تملأ الأكوان، مامر الجديدان، وبعد : فاعلما أيها الخصمان ، أنه والله ليس الخبر كالعيان، ولا المشاهدة كالممارسة واللمس، ولاهما أيضا كالملابسة واختلاط النفس بالنفس، وقد كنت أعلم حالكما ولاعلم اليقين، ثم رأيت عين اليقين، ثم وقفت منه على الحق اليقين، ثم تأكد الآن عندى لدخولى فيه بغير شريك ولامعين، فظهر لى بذلك واتضح الصواب، وانزاح عنى الباطل واختفى الشك والارتياب، وأمكننى بذلك أن أصل منه حق الجواب، وأقطع عنه النزاع والعتاب ، لأن النفوس منقادة إلى ذلك راضية. بحكمى ساخطة لما تهواه، والقلوب منشرحة مرتاحة لما عساه منه تلقاه، وليس ذلك عندى إلا الذى اختاره الله لعباده المتبارين والأزواج، وجعله خيرا لهم من التشاقق إذا حصل التنافر بينهم أو وقع الإحراج، وهو الصلح فاسمعا وأطيعا ودعا التلاجى واللجاج، واعلما أن البينتين متى تعارضتا فى حكم سقط بكلتيهما الاحتجاج، وثم الحال باق على ما كان عليه فى الأول، وكذا (١) انتما فالحكم لكما واحد وعلى الصلح المعول، وكلاكما حسن طيب مازال مشكورا، وفى الكتاب والسنة قد غدا مذكورا، وأنتما والرطب ملوك الفاكهة فقط، فحاشا كما أن تجهل أو يفرط منكما عليكما هذا الفرط، وأنتما كالتوأمين قط لم تفترقا، فاقبلا نصحى وكونا أصدقا، وكيف لا وأنتما متحلين على الصوفية، فقد ظهرت لطافتكما بعد تلك الكتافة المردية، فأنت مصفر

(١) وأما فى أ ، جـ.

رقيق صلب صاف جسور نحيف، وهو متقشف خاشع راكع باك لين خفيف، فاستعملا الظاهر باطنا وتصافيا وتراويا وتخالطا وتخاطبا وتطاوعا ولا تختلفا وتوادا وكونا على قلب واحد فإن شطح أحدكما يوما فى حق الآخر وقال فيه [1] ما قال، فعلى الآخر الصبر والحكم والكظم والصفح والاحتمال، فإن كل أحد وقت الرضا يتكابس [2] وإنما فى الشدائد تتباين [3] الفحول والأبطال، ودوام الود بينكما أبدا أن لا يعيب أحد منكما الآخر ولا يذكره بشين ظهر عيب، ولا يرميه بغيب، فإن صفا ورد، اعتذر واستغفر، فيغفره الآخر، ولايذكر ما مضى ولا ما قصر، ولايعاتب أحدكما الآخر على الذى كان فى الماضى، فإن ذلك يوجب الشحناء وينسخ التراضى، ولا تقوما من عندى إلا وكل منكما ظاهرا وباطنا عن الآخر راضى.

فسمعا له وأطاعا، ومد كل منهما للعهد والمودة يدا وباعا، واتفقا واستكانا، وصارا عباد الله إخوانا، واجتمعا بعد ذلك التنافر والإفتراق. فى الأوانى والأطباق.

---

(١) مهما فى أ.
(٢) متكابس فى د.
(٣) تتبين فى أ.

الفهـــرس

هــذا الكـتـاب

هذه المفاخرات الثلاثة خاصة بأنواع الفاكهة، المفاخرة الأولى بين المشمش والتوت، والثانية بين الرطب والأعناب ذكرها السيوطى فى مخطوط كوكب الروضة، والثالثة بين التين والعنب لشمس الدين محمد بن المحب.

وهى تتسم بالطرافة، كما أنها تحوى معلومات قيمة عن تلك الفواكة ومميزاتها مع الاستشهاد بذلك فيما ورد بحقها وتشبيهها بفواكة الجنة، وذكرها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

الناشــر